الفصل الثانى

المسألة اليهودية

لا أحد يستطيع إنكار خطورة وضع اليهود، فأينما عاشوا بأعداد ملحوظة، يتعرضوا للاضطهاد بشكل أو بآخر، ويصبح حق مساواتهم بغيرهم أمام القانون، والذى تكفله التشريعات، مادة معطلة من الناحية العملية، بل ويتم حرمانهم حتى من المناصب العليا نسبيًا، سواء فى الجيش أو فى المؤسسات العامة أو الخاصة، وتجرى المحاولات لطردهم من مجال الأعمال التجارية أيضًا: «لا تشترى من اليهود!».

وبصفة يومية، تتزايد مهاجمة اليهود فى البرلمان، والمجالس، والصحافة، والمنابر، وفى الشوارع، وفى الرحلات ـ فمثلا يتم استبعادهم من فنادق بعينها ـ وحتى فى أماكن الاستجمام. وتتنوع أشكال الاضطهاد حسب البلدان والسياقات الاجتماعية التى ينمو فيها؛ ففى روسيا، كانت المكوس تفرض على القرى اليهودية؛ وفى رومانيا، تعرض عدد قليل منهم للإعدام؛ وفى ألمانيا، كانوا يتعرضون للضرب المبرح من وقت لآخر؛ أما فى النمسا، مارس المعادون للسامية الإرهاب على كافة مناحى الحياة العامة؛ وفى الجزائر، كان هناك المحرضون الذين يتجولون من مكان لمكان للتحريض ضد اليهود؛ أما فى باريس، فكانوا يمنعون من الدخول إلى ما يُعرف بـ «نخبة الشرائح الاجتماعية» ويتم استبعادهم من النوادى. ظلال معاداة السامية متعددة، وهذه ليست محاولة لسرد قائمة حزينة بالمصاعب التى مر بها اليهود.

أنا لا أنتوى إثارة مشاعر التعاطف بالنيابة عنا نحن اليهود، فذلك عمل أحمق ولا جدوى منه وغير مشرف على الإطلاق. ولسوف أكتفى بتوجيه الأسئلة التالية إلى اليهود: أليس صحيحًا أنه فى البلدان التى نعيش فيها بأعداد ملحوظة، أصبح وضع المحامين والأطباء والفنيين والمعلمين والموظفين اليهود من جميع الأوصاف غير محتمل؟ أليس صحيحًا أن الطبقات الوسطى اليهودية يتهددها خطر شديد؟ أليس من الخطير أن العامة يتم تحريضهم ضد الأغنياء منا؟ أليس صحيحًا أن الفقير منا يعانى بشكل أكثر كثيرًا من أى شخص آخر ينتمى لطبقة البروليتاريا؟ أظن أن هذه الضغوط

الخارجية من الوضوح بحيث يسهل الوقوف عليها فى كل مكان، فهى تسبب القلق لطبقاتنا العليا اقتصاديّا، وتسبب مخاوف دائمة وخطيرة لطبقاتنا الوسطى، وتتسبب فى يأس تام بين صفوف طبقاتنا الدنيا.

فى الواقع، يبدو أن كل الأشياء تمضى فى الاتجاه نفسه نحو محصلة واحدة تُعبر عنها بوضوح عبارة برلين التقليدية: «يودين راوس ـ Juden Raus» (فليخرج اليهود!).

والآن سأضع السؤال فى أقصر صيغة ممكنة: هل «سنخرج» الآن؟ وإلى أين؟

أو، بصيغة أخرى، هل سنبقى رغم ذلك؟ وإلى متى؟

دعونا أولاً نفرغ من مسألة البقاء حيث نحن، هل بوسعنا أن نأمل فى أيام أفضل؟ هل يمكننا أن نحافظ على صبرنا؟ هل يمكننا الانتظار فى استكانة المطيع حتى تتحول قلوب أمراء وشعوب هذه الأرض إلى قلوب أكثر رحمة بنا؟ أقول إنه لا أمل فى تغير المشاعر الحالية. ولم؟ لأنه حتى وإن كنا قريبين إلى قلوب الأمراء بالقدر نفسه الذى عليه رعاياهم الآخرين، فليس بمقدورهم حمايتنا، بل سيذكون الكراهية الشعبية نحونا من خلال إظهار بالغ العطف تجاهنا. وما أعنيه بـ«بالغ العطف» هو فى الحقيقة أقل مما يطالب به أى مواطن عادى أو أى عرق آخر كحق من الحقوق. فكافة الشعوب التى يعيش اليهود بين ظهرانيها هى شعوب معادية للسامية فى السر أو فى العلانية.

إن الأشخاص العاديين ليس لديهم، ولا يمكن أن يكون لديهم حقّا، إلمام بالتاريخ، فهم لا يدركون أن آثام العصور الوسطى إنما تُرتكب مرة أخرى فى بلدان أوروبا. فنحن صنيعة الجيتو، ولقد حققنا الصدارة فى مجال الأموال لأن الظروف فى القرون الوسطى دفعتنا إلى ذلك. والعملية نفسها تتكرر فى الوقت الحالى، فمجددًا يتم الدفع بنا إلى مجال الأموال، هذه المرة باتجاه سوق الأوراق المالية، لما نلاقيه من صد عن الأفرع الأخرى للنشاط الاقتصادى. ثم نظرًا لعملنا فى سوق الأوراق المالية نتعرض مجددًا للازدراء. وفى الوقت نفسه، نستمر فى إنتاج عدد وافر من العقول المتوسطة التى لا تجد منفذًا، مما يعرض وضعنا الاجتماعى للخطر، تمامًا مثلما تفعل ثروتنا المتزايدة. كما أن اليهود المتعلمين معدومى الثروات سرعان ما يتحولون إلى

الاشتراكية. لذا، فمن المؤكد أننا سنعانى بشدة من الصراع بين الطبقات، لأننا نقف فى الموقع الأكثر انكشافا فى كل من معسكرى الاشتراكيين والرأسماليين.

المحاولات السابقة لإيجاد حل

إن الوسائل الاصطناعية التى جرى توظيفها حتى الآن للتغلب على المشاكل التى تواجه اليهود كانت إما صغيرة للغاية ـ مثل محاولات الاستيطان ـ أو كانت محاولات لتحويل اليهود إلى مزارعين فى مواطنهم الحالية.

ما الذى يمكن أن يحققه نقل آلاف قليلة من اليهود إلى بلد آخر؟ إما أن يحيوا فى شقاء بدءا منذ اللحظة الأولى، أو تزدهر أحوالهم، ثم يتسبب ازدهار أحوالهم فى خلق مناخ من العداء للسامية. ولقد ناقشنا بالفعل هذه المحاولات الرامية إلى نقل فقراء اليهود إلى الأحياء الجديدة. ومن الواضح أن هذا النقل غير كاف ولا طائل منه، فهو لا يحقق الغاية منه، بل ويطيل أمد المشكلة ويؤجل حلها، بل وربما يزيد من صعوبة المشكلات.

من يحاول تحويل اليهودى إلى مزارع فهو بالتأكيد يرتكب خطأ فادحًا، فالفلاح ينتمى لفئة تاريخية، كما تثبت ذلك ملابسه التى يلبسها فى بعض البلدان منذ قرون، وكما تثبت أدواته التى تطابق ما كان يستعمله آباؤه الأولون؛ فمحراثه لم يتغير، وما زال يحمل البذور فى مئزره، ويقطع الحشائش باستخدام المنجل التقليدى، ويدرس القمح بالدراسة التى أكل الدهر عليها وشرب. ولكننا نعلم أن ذلك كله يمكن القيام به باستخدام الآلات، فمسألة الزراعة ما هى إلا مسألة آلات. ولا بد أن أمريكا سوف تغزو أوروبا بالكيفية نفسها التى تبتلع بها حيازات الأراضى الكبيرة الحيازات الأصغر. لذا، فالمزارع أشبه بنوع فى طريقه إلى الانقراض. وحيثما يتم حفظه بطريقة اصطناعية، فإن ذلك يتم بدافع من المصالح السياسية التى يخدمها المزارعون. لذا فمن العبث، بل من المستحيل، إعداد مزارعين فى العصر الحديث على الطراز القديم، فلا أحد يملك الثراء ولا القوة القادرة على جعل الحضارة تخطو خطوة واحدة للخلف، ومجرد الحفاظ على المؤسسات يعد عملية صعبة إلى الحد الذى يتطلب تفعيل كافة الإجراءات التعسفية لبلد يتم حكمه بشكل استبدادى.

فهل سنكافئ اليهود الذين يتمتعون بالذكاء بالرغبة فى جعلهم مزارعين من الطراز القديم؟ إذًا ربما يمكن أن يقول أحدهم لليهود: «هاكم الأقواس: اذهبوا إلى الحرب الآن» ماذا؟ بأقواس، بينما الآخرون معهم المدافع الرشاشة والبنادق طويلة المدى؟ فى مثل هذه الظروف لا عجب أن لم يتحمس اليهود عندما يحاول الآخرون تحويلهم إلى مزارعين. القوس فى حد ذاته سلاح جميل يوحى إلىّ بمشاعر العزاء عندما يكون لدى وقت لها، ولكنه الآن ينتمى بالقطع إلى أحد المتاحف.

فى الوقت الحالى، هناك بالتأكيد أحياء يخرج اليهود اليائسون إليها، أو على أية حال، يريدون الخروج إليها ويفلحون الأرض، ولكن نظرة صغيرة إلى تلك الأحياء ـ مثل زمام هيسه بألمانيا، وبعض الأقاليم فى روسيا ـ ستوضح أن هذه الأحياء هى البؤر الأساسية لمعاداة السامية.

أما بالنسبة لمصلحى العالم، الذين يرسلون اليهود إلى المحراث، فهم ينسون شخصا مهما للغاية لديه الكثير ليقوله بخصوص هذه القضية، وهذا الشخص هو خبير الزراعة، ولديه أيضًا كامل الحق فيما يقول. فقد اجتمعت الضريبة على الأرض، مع المخاطر المتعلقة بالمحاصيل، وضغوط كبار ملاك الأراضى الذين يخفضون أجر العمال، والمنافسة الأمريكية على وجه الخصوص، لتجعل حياته أكثر صعوبة. كما أنه لا يمكن ترك الرسوم الجمركية المفروضة على القمح تزداد بدون قيود، ولا يمكن ترك الصانع ليموت جوعًا، فتأثيره السياسى فى الواقع آخذ فى الازدياد، ومن ثم لابد وأن يؤخذ فى الاعتبار أكثر من ذلك.

بالطبع كل هذه الصعوبات معروفة جيدًا، لذا اكتفيت بالإشارة إليها على نحو سريع. أردت فقط أن أوضح كيف كانت المحاولات السابقة عديمة الجدوى فى حل القضية اليهودية، رغم أن معظمها كان حسن النية. فليس من شأن تحويل المسار ولا الإحباط الصناعى لشريحة المثقفين من طبقة البروليتاريا الخاصة بنا أن يتغلبا على هذه الصعوبات. وتم بالفعل معالجة الوسيلة المحيدة المفترضة لانصهار اليهود فى المجتمعات التى يعيشون بها.

لا يمكن التغلب على معاداة السامية بأى من هذه الوسائل، فلا يمكن لهذه المعاداة أن تموت طالما لم يتم إزالة أسبابها، فهل هى قابلة للإزالة بحق؟

أسباب معاداة السامية

لن نتطرق مجددًا لتلك الأسباب الناجمة عن المزاجية، والتحامل، وضيق أفق الآخرين، بل سنقتصر على الأسباب السياسية والاقتصادية، فلا يجب الخلط بين معاداة السامية فى العصر الحديث والاضطهاد الدينى لليهود فى العصور السابقة. ورغم أن معاداة السامية تأخذ شكل التحامل الدينى فى بعض البلدان، إلا أن التيار الرئيسى فى الحركة العدائية تجاه اليهود قد تغير فى الوقت الحالى. وفى البلدان الرئيسية التى تسود فيها معاداة السامية، يحدث ذلك نتيجة لتحرير اليهود. وعندما أدركت الأمم المتحضرة لاإنسانية التشريعات التى تميز ضد اليهود، ومن ثم أقدمت على تحريرنا، كان هذا التحرير متأخرًا جدًا بالنسبة لنا. لم يعد من الممكن التغلب على عجزنا فى أوطاننا القديمة، فالغريب أننا إبان مكوثنا فى الجيتو قد تحولنا إلى برجوازيين، وفور خروجنا منه دخلنا فى منافسة شرسة مع الطبقات الوسطى، ولذلك فإن تحريرنا قد أقحمنا داخل دائرة الطبقة الوسطى هذه، وأصبح لزامًا علينا تحمل الضغط المزدوج؛ من الداخل والخارج، فالطبقة البرجوازية المسيحية لن يكون لديها مانع من أن ترانا قربانًا للاشتراكية، رغم أن هذا لن يحسن الأمور كثيرًا.

فى الوقت نفسه، لا يمكن إلغاء المساواة لليهود أمام القانون بعد أن تم تشريعها، ليس فقط لأن سحبها سيتعارض مع روح عصرنا الحالى، ولكن أيضًا لأن ذلك سيدفع اليهود، أغنياء وفقراء على السواء، إلى الانضمام لصفوف الأحزاب الهدامة، ومن ثم لا يوجد بالفعل شىء مؤثر يمكن عمله لإيقاع الضرر بنا. فى الماضى، كان يتم مصادرة مجوهراتنا، أما الآن فكيف يمكن أن يتم احتجاز ممتلكاتنا المنقولة؟ فهى أوراق مطبوعة مودعة فى خزائن فى مكان أو آخر حول العالم، وربما فى صناديق المسيحيين. بالطبع يمكن الوصول إلى الأسهم والسندات فى السكك الحديدية والمصارف والمعاملات الصناعية من كافة الأوصاف عن طريق فرض الضرائب، وعندما يتم تفعيل ضرائب الدخل التصاعدية يمكن فى النهاية الاستحواذ على كافة ممتلكاتنا المنقولة. ولكن كل هذه الجهود لا يمكن توجيهها ضد اليهود فحسب، وأينما يتم فرضها سينجم عنه مباشرة أزمات اقتصادية خطيرة لن تقتصر فقط على اليهود بأى حال من الأحوال، رغم كونهم أول المتضررين. وقد تسببت استحالة الوصول إلى اليهود فى تغذية مشاعر الكراهية تجاههم وجعلها أكثر مرارة، فتزداد معاداة السامية يوما بعد آخر، وساعة بعد

أخرى بين الأمم؛ حقيقة الأمر أنه من المتوقع أن تزداد نظرًا لأن أسباب نموها ما زالت كما هى ولم يتم القضاء عليها. ويعد السبب البعيد لها هو فقداننا القدرة على الانصهار ضمن الشعوب التى كنا نعيش بينها فى العصور الوسطى، بينما السبب المباشر هو إنتاجنا المفرط لعقول متوسطة لا تستطيع التوصل إلى مخرج لا إلى أعلى أو إلى أسفل ـ بمعنى أنه لا يوجد مخرج فى أى من الاتجاهين. فعندما نغوص فى الحضيض، نصبح ثوارًا من طبقة البروليتاريا، وأتباع الأحزاب الثورية؛ بينما إذا صعد نجمنا، تصعد معه سلطتنا المالية الرهيبة.

تأثيرات معاداة السامية

ليس من شأن الظلم الذى نتعرض له أن يجعل منا أناسًا أفضل، فنحن لسنا أفضل من البشر العاديين فى ذلك ولو بمثقال ذرة. صحيح أننا لا نحب أعداءنا، ولكن من يريد لومنا على فعل ذلك، فليلم نفسه أولاً، فالظلم بطبيعته يخلق مشاعر الكراهية ضد الظالم، وتزيد كراهيتنا لهم من الضغوط التى تمارس ضدنا. من المستحيل إذن الهروب من هذه الدائرة المفرغة.

سيقول بعض الحالمين من أصحاب القلوب الطيبة: «لا! لا! ليس هذا بمستحيل! بل ممكن عن طريق الكمال الإنسانى المطلق».

هل من الضرورى الإشارة إلى الحماقة العاطفية المفرطة لوجهة النظر هذه؟ فمن يأمل فى تحسين أحواله مستندًا إلى الكمال الإنسانى المطلق، فهو بالتأكيد يستند إلى المدينة الفاضلة!

لقد أشرت من قبل إلى مسألة «انصهارنا»، ولا أرغب ولو للحظة فى أن يبدو كلامى وكأنه يتضمن أنى أرغب فى هذه الغاية. فشخصيتنا القومية معروفة للغاية عبر التاريخ، ورغم كل الإذلال الذى تعرضنا له، فهى تظل رائعة إلى الحد الذى يجعل الآخرين يرغبون فى محوها. قد نستطيع الاندماج تمامًا مع الأعراق التى تحيط بنا، إذا كان هذا سيؤدى إلى تركنا فى سلام لفترة جيلين، ولكن هذا لن يحدث. فهم قد ينجحون فى التسامح معنا لفترة قصيرة، ولكن سرعان ما يندلع عداؤهم لنا من جديد مرات ومرات. إن العالم الآن يثيره ازدهار أحوالنا بشكل أو بآخر، فلقرون طويلة

اعتاد على اعتبارنا الأكثر استحقاقًا للازدراء بين الفقراء المدقعين. وبسبب جهل هذا العالم وضيق أفقه، فقد فشل فى إدراك أن هذا الازدهار يضعف من يهوديتنا ويمحو خصوصياتنا، وأن الضغوط فقط هى ما يجعلنا نعود إلى جذورنا مرة أخرى، والكراهية التى تحيط بنا من كل جانب هى فقط ما يجعلنا غرباء مرة أخرى.

لذلك، شئنا أم أبينا، فنحن الآن، وسنظل أبدًا، جماعة تاريخية لها خصائص شائعة بيننا جميعًا لا يمكن إغفالها.

نحن شعب واحد، هكذا جعلنا أعداؤنا رغم إرادتنا، مثلما يحدث مراراً وتكراراً عبر التاريخ. ويربطنا الشقاء بعضنا ببعض، وما أن نتوحد حتى ندرك قوتنا على نحو مفاجئ. نعم، لدينا القوة الكافية لإنشاء دولة، بل ودولة نموذجية، فنحن نملك كافة الموارد البشرية والمادية اللازمة للوصول لهذا الغرض.

لذلك، فهذا هو المكان الملائم لتقديم تقرير مفصل عما أصطلح تقريبًا على تسميته بـ «المواد البشرية»، ولكن لن يتم تقديره حق قدره حتى يجرى وضع الخطوط العريضة للخطة التى يعتمد عليها كل شىء آخر.

الخطة

الخطة بأكملها بسيطة من حيث الجوهر، وهكذا يجب أن تكون إذا ما أردنا بها أن تكون خطة شاملة.

فلنُمنح سيادة على جزء من العالم كبير بما يكفى للوفاء بالمتطلبات العادلة لأمة ما، ويمكننا نحن تدبر الباقى.

إن تأسيس دولة جديدة ليس بالأمر السخيف أو المستحيل، فقد شاهدنا خلال حياتنا أحوال الأمم التى لم تكن حتى من أعضاء الطبقة الوسطى، بل كانت أفقر من ذلك، وأقل فى التعليم، وبالتالى أضعف منا. وستحرص حكومات الدول التى أصابتها البلايا بسبب معاداة السامية على مساعدتنا لنحصل على السيادة التى نسعى إليها.

سيتم تنفيذ هذه الخطة البسيطة من حيث التصميم، والمعقدة من حيث التنفيذ، من خلال وكالتين: جمعية اليهود والشركة اليهودية.

ستقوم جمعية اليهود بالعمل الإعدادى فى ميادين العلم والسياسة، ثم تتولى الشركة اليهودية تنفيذهما بشكل عملى فيما بعد.

ستصبح الشركة اليهودية وكيل تصفية فوائد الأعمال التجارية لليهود المغادرين، كما ستقوم بتنظيم التجارة والأعمال التجارية فى الدولة الجديدة.

ولا يجب أن نتخيل أن رحيل اليهود سيكون أمرًا مفاجئًا، بل تدريجيّا، ومتواصلاً، وسيستمر لعدة عقود، حيث سيرحل الأكثر فقرًا أولاً لزراعة الأرض. ووفقًا لخطة يتم وضعها مسبقًا، سيقوم هؤلاء الفقراء بإنشاء الطرق، والكبارى، والسكك الحديدية، وأجهزة التلغراف، وتنظيم الأنهار، وبناء المساكن الخاصة بهم. سيخلق عملهم هذا تجارة، وستخلق هذه التجارة أسواقًا، وستجذب الأسواق مستعمرين جدد، حيث سيذهبون طواعية على نفقتهم الخاصة ومتحملين للمخاطر التى ستواجههم. وما يبذل على هذه الأرض من العمل سيعمل على رفع قيمتها، وسرعان ما سيدرك اليهود أن آفاقًا جديدة ودائمة يتم فتحها هنا لمن تجنح أرواحهم نحو المشروعات؛ الأمر الذى لم يقابل حتى الآن إلا بالكراهية والتنديد فقط.

إذا كنا نرغب فى تأسيس دولة الآن، فلسنا مضطرين إلى فعل ذلك بالطريقة التى كانت هى الطريقة الوحيدة المتاحة من ألف عام. فمن الحماقة أن نعود إلى مراحل قديمة من الحضارة، كما يريد أن يفعل معظم الصهاينة. لنفترض على سبيل المثال أننا أرغمنا على تطهير الدولة من الوحوش البرية، لا يجب أن نقوم بالمهمة بأسلوب الأوروبيين فى القرن الخامس؛ لن نحمل حربة ورمحًا ونخرج فرادى لنطارد الدببة؛ بل سنقوم بتنظيم فريق صيد كبير ونشط، ونسوق الحيوانات معًا، ونلقى قنبلة متفجرة بين هذه الحيوانات.

إذا رغبنا فى القيام بعمليات بناء، فلن نقوم بزرع العديد من الدعامات والركائز على شاطئ البحيرة، بل يجب علينا أن نبنى كما يبنى الرجال الآن، بل وسنبنى بنمط واضح وأكثر فخامة عما كان يُستخدم من قبل، لأننا نمتلك الآن الوسائل التى لم يكن هؤلاء يمتلكونها من قبل.

وبشكل تدريجى سيلحق المهاجرون من الدرجة الاقتصادية الأعلى بالمهاجرين الذين سبقوهم ممن يحتلون أدنى درجات السلم الاقتصادى، حيث سيذهب أولاً

هؤلاء الذين يعيشون حياة بائسة. وسيعمل على قيادة هؤلاء مثقفو الطبقة الوسطى الذين ينتجهم مجتمعنا اليهودى بأعداد كبيرة، والمضطهدون فى كل مكان.

وسيفتح هذا الكتيب مناقشة عامة حول القضية اليهودية، ولكن ذلك لا يعنى أن لن يكون هناك تصويت عليها، فذلك كفيل بأن يقضى على القضية من مبدئها، وعلى المنشقين أن يتذكروا أن الانتماء أو المعارضة هو أمر اختيارى، ومن لم يأت معنا سيبقى خلفنا.

فليصطف كل من يريد الانضمام إلينا خلف رايتنا، ولنناضل من أجل قضيتنا بالصوت والقلم والعمل.

إن هؤلاء اليهود الذين يوافقون على فكرتنا بإنشاء دولة سيقومون بإلحاق أنفسهم بالجمعية، والتى سيكون مخول لها سلطة التشاور والتعامل مع الحكومات باسم شعبنا، ومن ثم فإنه فى علاقاتها مع الحكومات، سيتم الاعتراف بالجمعية بوصفها قوة مؤسسة لدولة، وسيعمل هذا الاعتراف على تأسيس الدولة بشكل عملى.

وما أن تقوم القوى بإعلان رغبتها فى إقرار سيادتنا على قطعة محايدة من الأرض، حتى تدخل الجمعية فى مفاوضات حول امتلاك هذه الأرض. وهنا نأخذ فى عين الاعتبار منطقتين، هما: فلسطين والأرجنتين، وقد أجريت تجارب هامة فى مجال الاستعمار فى هاتين الدولتين، بالرغم من أنها قامت على المبدأ الخاطئ للتسلل التدريجى لليهود. فمثل هذا التسلل محكوم عليه بالفشل، فهو يستمر حتى تحين اللحظة الحتمية التى يشعر فيها الشعب الأصلى بأنه مهدد، ومن ثم يجبر حكومته على التحرك لوقف المزيد من تدفق اليهود. وعليه، فإن الهجرة تعتبر عديمة الفائدة إذا لم يكن لدينا الحق السيادى فى الاستمرار فيها.

وستتولى جمعية اليهود التعامل مع الملاّك الحاليين للأرض، واضعة نفسها تحت حماية القوى الأوروبية إذا أثبتوا تأييدهم لهذه الخطة. بوسعنا أن نعرض على المالكين الحاليين للأرض مزايا عديدة، وسنتحمل جزءًا من الدين العام، ونبنى طرقًا جديدة لسير الحركة المرورية التى سيتطلبها وجودنا فى الدولة، بالإضافة إلى العديد من الأشياء الأخرى. كما أن تأسيس دولتنا سيعود بالفائدة على الدول المجاورة، نظرًا لأن زراعة إقليم من الأرض يرفع من قيمة الأقاليم المحيطة به بطرق لا حصر لها.

فلسطين أم الأرچنتين؟

هل يتعين علينا اختيار فلسطين أم الأرچنتين؟ سنأخذ ما يعطى لنا، وما يختاره الرأى العام اليهودى، وستقوم الجمعية بتحديد هاتين النقطتين.

الأرچنتين واحدة من أخصب دول العالم، وتمتد لمساحة هائلة، وهى ذات كثافة سكانية ضئيلة، ومناخ معتدل. ولسوف تحصل جمهورية الأرچنتين على أرباح هائلة نظير تنازلها عن جزء من أرضها لنا. مما لا شك فيه أن التسلل الحالى لليهود قد تسبب فى إثارة بعض السخط، لذلك سيصبح من الضرورى توعية هذه الجمهورية بالفارق الجوهرى الذى تتميز به حركتنا الجديدة.

أما فلسطين فهى وطننا التاريخى الخالد فى ذاكرتنا أبد الدهر، فمجرد ذكر اسم فلسطين يجذب شعبنا بقوة هائلة، فإذا ما أعطانا فخامة السلطان فلسطين، سنقوم بدورنا بتدبير جميع الموارد المالية لتركيا، حيث يتعين أن نشكل هناك جزءًا من السور الواقى لأوروپا ضد آسيا؛ حائط صد أمامى للحضارة فى مقابل البربرية. وبصفتنا دولة حيادية، يتعين علينا أن نبقى على اتصال بأوروپا بأكملها، الأمر الذى سيؤمن وجودنا. وستتم حماية مقدسات النصرانية بتخصيص وضع شرعى غير الوضع الإقليمى المتعارف عليه فى القوانين الخاصة بالأمم. يجب علينا أن نشكل حارسًا شرفيًا حول هذه المقدسات يكون مسئولاً عن الوفاء بهذا الواجب فى وجودنا. وسيكون هذا الحارس الشرفى الرمز الأعظم لحل القضية اليهودية بعد ١٨ قرنًا من معاناة اليهود.

الطلب، الوسط، التجارة

لقد ذكرت فى الفصل الأخير: «ستقوم الشركة اليهودية بتنظيم التجارة فى الدولة الجديدة»، وسأقوم هنا بإضافة بعض الملاحظات حول هذه النقطة:

تتعرض خطة مثل التى وضعتها إلى خطر كبير إذا ما عورضت من قبل أشخاص «عمليين». فالأشخاص العمليون لا يمثلون الآن إلا قاعدة لا تزيد على بعض الرجال ممن دفنوا أنفسهم فى أخدود من الروتين، ولا يستطيعون الخروج من دائرة ضيقة من الأفكار العتيقة. وفى الوقت نفسه، فإن رأيهم المعارض له ثقله وبإمكانه إلحاق ضرر

كبير بالمشروع الجديد. وعلى أية حال، فإن هذا الشيء الجديد من القوة بحيث يمكنه إلقاء الأشخاص «العمليين» وأفكارهم الرجعية فى مهب الريح.

فى مرحلة مبكرة من إنشاء خطوط السكة الحديد الأوروبية، كان بعض الأشخاص «العمليين» يرون أنه من الحماقة إنشاء بعض الخطوط «نظرًا لعدم وجود عدد من المسافرين يكفى لملء العربات». إنهم لم يدركوا الحقيقة ـ التى تبدو واضحة الآن ـ وهى أن المسافر لا يجلب السكك الحديدية، ولكن العكس من ذلك، تجلب السكك الحديدية المسافر، من ثم فإن الطلب الضمنى شيء بديهى.

إن استحالة استيعاب فكرة إنشاء تجارة فى دولة جديدة لم نحصل عليها ولم نقم بزراعتها حتى الآن يمكن تصنيفها كتلك الشكوك الخاصة بالأشخاص «العمليين» فيما يتعلق بالحاجة للسكك الحديدية. يعبر الشخص «العملى» عن نفسه إلى حد ما بهذا الشكل:

«مع التسليم بأن الوضع الحالى لليهود فى أماكن عديدة هو وضع لا يحتمل، ويتفاقم يومًا بعد يوم؛ ومع التسليم بأنه توجد رغبة نحو الهجرة؛ بل ومع التسليم بأن اليهود يهاجرون بالفعل إلى الدولة الجديدة؛ فكيف سيكسبون أقواتهم هناك، وما الذى سيكسبونه؟ علام سيقاتلون هناك؟ فالأعمال التجارية الخاصة بالعديد من الأشخاص لا يمكن تنظيمها بشكل مصطنع فى يوم واحد».

وردًا على هذا أقول: «ليس لدينا أدنى نية لتنظيم التجارة بشكل مصطنع، وبالقطع لن نحاول أن نقوم بذلك فى يوم واحد. ولكن على الرغم من أن تنظيم مثل هذه التجارة قد يكون مستحيلاً، إلا أن الترويج لها ليس كذلك. وكيف يمكن ترويج التجارة؟ من خلال أداة الطلب، وطالما تم التعرف على الطلب، ووجد الوسط، فستخلق التجارة نفسها. وإذا كانت هناك حاجة ضرورية بين اليهود لتحسين وضعهم؛ وإذا كان الوسط المطلوب إنشاؤه ـ الشركة اليهودية ـ تمتلك القوة الكافية، ستتوسع التجارة بحرية فى الدولة الجديدة».

* * *